## الدرس العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علما ، واجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا يا ذا الجلال والإكرام .

قال الإمام الأواب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

### باب تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرُّق والاختلاف والتحذير من ذلك

**وقول الله تعالى :** ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب:٢١] ، **وقوله تعالى :** ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] الآية ، **وقوله تعالى :** ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] **الآية .**

********

قال رحمه الله تعالى ((**بابٌ تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرُّق والاختلاف والتحذير من ذلك**))؛ قوله رحمه الله «تحريضه» التحريض: هو الحث على الشيء والترغيب فيه وبيان محاسن فعله ومساوئ تركه ، قد قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال:٦٥] فالتحريض: هو الحث والترغيب .

وقوله رحمه الله تعالى: ((**بابٌ تحريضه على لزوم السنة**)) أي حث النبي صلى الله عليه سلم أمته على لزوم سنته والتمسك بها والتقيد بما جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه ، وتحذيره عليه الصلاة والسلام أمته من مخالفة السنة ومجانبتها والوقوع في الغلو في الدين والتفرق والاختلاف ، وقد جاء في هذا الباب آيات كثيرة وأحاديث عديدة في سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وقد اقتصر المصنف رحمه الله تعالى على الإشارة إلى بعض هذه الأدلة .

قال: ((**بابٌ تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة**)) والسنة المراد بها: الطريقة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي شاملة لكل ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، فالسنة تشمل كل ما صح وثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من الأقوال والأعمال وكل أيضا أمرٍ أقره النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء عنه في الحديث الصحيح وسيأتي سياقه عند المصنف ((وعليكم بسنتي)) أي الزموها وتمسكوا بها .

قال: ((**والترغيب في ذلك**)) الترغيب: ذكر الشيء والحث عليه بذكر فضائله ومحاسنه وما يدعو الإنسان إلى المواظبة عليه والحرص على فعله ، والنبي عليه الصلاة والسلام جمع بين الترغيب والترهيب ، رغَّب ورهب صلوات الله وسلامه عليه ، ذكر المرغبات وذكر أيضا صلوات الله وسلامه عليه المرهبات ، حتى في باب اتباع السنة جاء عنه عليه الصلاة والسلام الترغيب في ذلك وجاء أيضا الترهيب من ذلك ، قال ((ومن رغب عن سنتي فليس مني)) هذا ترهيب ، وجاء عنه أيضا في أحاديث عديدة يأتي بعضها عند المصنف رحمه الله تعالى الترغيب في لزوم سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال: ((**وترك البدع**)) والبدع: هي المحدثات في دين الله ، قال عليه الصلاة والسلام ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)) ، وفي رواية ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) ، فالبدعة: ما ليس بسنة ، كل أمر اخترع وانشئ في الدين وقُصد به التقرب إلى الله عز وجل وطلب ثوابه مما لم يأتِ في سنة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال: ((**والتفرُّق**)) أي وترك التفرق والاختلاف ، والمراد بالتفرق أي التفرق في الدين والتحزب والشيع والانقسام والافتراق ، فحذر عليه الصلاة والسلام من ذلك أشد التحذير ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] أي فرَقًا وأحزابًا وطوائف متفرقين في دين الله تبارك وتعالى ، فحذر من ذلك كله صلوات الله وسلامه عليه وسيأتي في النصوص التحذير من ذلك .

بدأ رحمه الله بقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] ؛ الأسوة: هو القدوة ، وقال «حسنة» لأن الأسوة يكون أسوة حسنة ويكون أسوة سيئة ؛ فمن كان إمامًا في الخير فهو أسوة حسنة ، ومن كان إمامًا في الشر فهو والعياذ بالله أسوة سيئة ، ولهذا قال الله

تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ، فقوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ يدل على أن من الناس من هو أسوة حسنة وهم الرسل وأتباع الرسل والسائرين على سننهم والمقتفون لأثرهم ، ومن الناس من هو أسوة سيئة وإمام في الشر ودعاة إلى نار جهنم والعياذ بالله .

والأسوة هو من يؤتسى به ، والائتساء هو الاقتداء ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ أسوة حسنة في ماذا؟ في أعمال الخير كلها بدون استثناء ، في جميع أبواب الخير ، في أي خصلة من خصال البر ، في أي باب من أبواب الطاعات ، فهو عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لأنه صلى الله عليه وسلم كمَّل الدين وأتمه وأتى به على الوفاء والتمام والكمال فكان عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بالله وأتقى الناس لله وأعظم الناس عبادةً لله ، وما من خصلة من خصال الخير وباب من أبواب البر إلا وبلغ فيه عليه الصلاة والسلام الرتبة العلية والمنزلة العالية الرفيعة صلوات الله وسلامه عليه، فهو أسوة في الخير أي إمام وقدوة في أبواب الخير كلها صلوات الله وسلامه عليه.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وهذا ولاشك فيه أعظم الحث على التمسك بما جاء عنه ولزوم هديه والتقيد بسنته عليه الصلاة والسلام ، لأن الله عز وجل وصفه بأنه أسوة حسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ؛ لكن هذا الائتساء به عليه الصلاة والسلام يتحقق لمن؟ من الذي يفوز بهذا الائتساء ويحظى بهذا الاقتداء؟

قال: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ فأهل الإيمان بالله ، الطامعين في ثوابه ، الخائفين من عقابه ، الراغبين في أجره سبحانه وتعالى وثوابه ، الذاكرين له جل وعلا كثيرا هم الذين يوفقون للائتساء بالنبي الكريم وتعظيم سنته وتعظيم هديه عليه الصلاة والسلام والتقيد بما جاء به ، أما من ضعف فيهم هذا الإيمان ونقص فيهم حظهم من تذكر الآخرة والوقوف بين يدي الله عز وجل والجزاء والحساب فإن نفوسهم تتفلت بالميل إلى الأهواء واتباع البدع والمحدثات والانكباب على الخرافات التي ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان ، أما الإيمان الصادق والاعتقاد الراسخ وحسن الإيمان بالله عز وجل وعظيم موعوده فإن هذا أعظم داعٍ للإنسان للتمسك بهدي النبي عليه الصلاة والسلام والتقيد بسنته والبعد عن الأهواء والبدع والمحدثات .

ثم أورد رحمه الله تعالى قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] وهذا فيه ذم التفرق والاختلاف في دين الله عز وجل باتباع الأهواء وركوب البدع واقترافها .

قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ ويكون التفرق في الدين: بالتخلي عنه وعدم التمسك به وبالوقوع في البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ولهذا كما أن السنة تجمع فإن البدعة تفرق ، ولهذا يقال «أهل السنة

والجماعة ، وأهل البدعة والفرقة» لأن السنة تجمع ، والبدعة تفرق الناس وتشتت شملهم وتوجِد بينهم العداوات والبغضاء ، أما السنة فهي التي تجمع الناس ؛ تجمعهم على الحق والهدى وعلى طلب رضا الله سبحانه وتعالى والخوف من عقابه .

قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾ أي متفرقين متحزبين منقسمين إلى طوائف .

﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ لأن التفرق الذي يكون في الأهواء والبدع أمر حادث في الدين خارج عن سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهو وُجد بعد زمانه عليه الصلاة والسلام قال ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)) ذم ذلك عليه الصلاة والسلام وحذر منه في أحاديث كثيرة .

قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي أنه عليه الصلاة والسلام براءٌ من هؤلاء ليسو منه وليس منهم عليه الصلاة والسلام .

ثم ختم الآيات بقول الله تبارك وتعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] ؛ «أن أقيموا الدين» إقامة الدين إنما تكون بلزوم الدين ؛ تمسكًا ومحافظةً ورعاية له.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي احذروا التفرق في دين الله عز وجل باتباع الأهواء وركوب البدع ، فأمَر بلزوم الدين والتمسك به وحذر من التفرق ونهى عنه ، وهذه وصية الله عز وجل لأنبيائه ورسله .

وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية أولي العزم من المرسلين وهم خمسة : محمد عليه الصلاة والسلام ، ونوح ، وإبراهيم، وموسى ، وعيسى . جمع تبارك وتعالى في هذه الآية أولي العزم من الرسل كما جمعهم تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الأحزاب:٧] فجمعهم تبارك وتعالى ، وهم أشرف الرسل وأفضلهم ومقدموهم ؛ فوصية الله عز وجل للرسل ولأولي العزم منهم هي إقامة الدين وعدم التفرق فيه . إقامة الدين: أي الذي بعث الله سبحانه وتعالى به رسله وأنزل به تبارك وتعالى كتبه ، وعدم التفرق فيه: باتباع الأهواء وما تمليه العقول المجردة وما يقع فيه الناس في اتباعهم للمصادر المختلفة التي يتلقون منها ويأخذون عنها .

أهل الإيمان أمروا بأن يأخذوا من الكتاب والسنة لتجتمع كلمتهم على الدين الحق ، ومن تخلى عن الكتاب والسنة وقع في التفرق ، ولهذا لو تأمل الإنسان في واقع الناس من حيث عقائدهم وأديانهم ومذاهبهم وآراءهم تجد أن السبب في هذا التفرق الذي هم عليه راجعٌ إلى المصادر التي يستقون منها متخلين عن الكتاب والسنة ؛ فمن

الناس من يأخذ دينه وعقيدته من الرؤى والمنامات ، ومنهم من يأخذ دينه وعقيدته من عقله وفكره المجرد ، والعقول متفاوتة ، ولهذا من بنوا عقائدهم على العقول صاروا إلى عقائد كثيرة ومذاهب متعددة ، ومنهم من يبنون عقائدهم على تجارب والأذواق ، ومنهم من يبنون عقائدهم وأديانهم على القصص والحكايات والأخبار ، وهكذا تجد الناس يبنون عقائدهم على أمور ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان ، فوُجد بسبب ذلك تفرق واختلاف وعقائد باطلة . ولا يمكن أن يستقيم للإنسان أمرٌ وأن يصح له عقيدة ويتم له دين إلا باتباع وحي الله تبارك وتعالى ولزومه ، وكيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام !! ولهذا أيضا قال أهل العلم : «من فارق الدليل ضل السبيل ، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام» .

قال رحمه الله تعالى :

**وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وَعظَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجِلَت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودِّع فما تعهده إلينا ؟ فقال : ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة)) رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه . وفي رواية له: ((لقد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)) ثم ذكره بمعناه .**

**********

أورد هنا رحمه الله تعالى هذا الحديث العظيم حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : ((**وَعظَنا النبي صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجِلَت منها القلوب**)) ؛ الموعظة هو الكلام الرقيق المؤثر المشتمل على الترغيب أو الترهيب ؛ هذا يقال له وعظ ، والناس يحتاجون إلى المواعظ ، وكان عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة؛ أي يأتي بالموعظة بين الوقت والآخر ، يتخولهم بذلك ويتعاهدهم به ، فالناس يحتاجون إلى الموعظة لأن الموعظة الصادقة المشتملة على الكلام اللين الرفيق من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام من شأنه أن يرقق القلوب ويليِّن النفوس ويرغِّبها في الخير ويرهِّبها من الشر ، والناس يحتاجون إلى ذلك لأن الصوارف عن دين الله عز وجل والصواد كثيرة جدًا والأمور التي تأخذ بالإنسان إلى سبيل الغفلة متنوعة ؛ فيحتاج الناس إلى المواعظ التي ترقق قلوبهم .

وفي باب الوعظ ينبغي أن يكون طرحه على الناس باعتدال كما جاء في السنة ، وأن يكون وعظ الناس تخولا، ثم تُشغل المجالس بنشر العلم وبيان السنن والتفقيه في دين الله عز وجل وبيان الأحكام ، لا أن يكون الكلام كله

وعظ وأن تكون الخطب كلها وعظ وأن تكون الدروس كلها وعظ ، لأن القلوب إذا وُعظت تهيأت للخير ، وإذا استمر معهم الوعظ أين الخير يُدلّون عليه ويرشدون إلى فعله ويبين لهم! ولهذا السنة أن يكون الوعظ تخولا ، يُتخول الناس بالموعظة بين وقت وآخر حتى تقبِل قلوبهم وتنصرف عنهم الغفلة . وأيضا في جانب آخر لا يترك الوعظ ؛ كما أنه لا يناسب أن تكون المجالس كلها وعظ أيضا لا يترك الوعظ ، بل الناس يحتاجون إليه بين فينة وأخرى ووقت وآخر، وهذا أيضا يحتاج إلى تأمل الناصح والمعلم إلى أحوال الناس ، ففي بعض الأوقات تمس الحاجة وتشتد إلى الوعظ والتركيز عليه ، وفي أوقات أخرى يحتاج الناس ولاسيما إذا أقبلت نفوسهم واطمأنوا يحتاجون إلى العلم وإلى بيان السنن،والنفس لها إقبال وإدبار؛ فإذا أقبلت النفس ولانت بالموعظة الحسنة يبين للناس السنن وتوضح لهم الأحكام وهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام حتى يحافظ الناس على ذلك ويتمسكوا به .

قال:((**وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة**))وصفها رضي الله عنه بهذا الوصف «موعظة بليغة».

((**وجلت منها العيون وذرفت منها العيون**))؛ وجلت القلوب: أي خافت وخشعت ، وذرفت منها العيون: أي دمعت العيون والعين تدمع عندما يلين القلب ويخشع ، وفي الدعاء المأثور عن نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم ((إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع)) . فالصحابة رضي الله عنهم على إثر هذه الموعظة ذرفت عيونهم دمعت ، ووجلت قلوبهم أي خافت القلوب ؛ وهذه فائدة الموعظة ، فائدة الموعظة أن تلين القلوب وتخشع وتدمع العيون ويرق الناس بحيث يقبِلون على السنن ويقبلون على المواظبة على دين الله تبارك وتعالى .

قال رضي الله عنه : ((**فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع فما تعهد إلينا؟**)) وهذا من شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير ورغبتهم فيه ؛ لما وعظهم عليه الصلاة والسلام هذا الوعظ البليغ وقال لهم عليه الصلاة والسلام في أنفسهم هذا القول البليغ الذي ألان القلوب وذرفت منه العيون قالوا «كأنها موعظة مودع» موعظة شخص يريد أن يودعنا وأن نفارقه «فما تعهد إلينا؟» أي ما هي الوصية التي تعهد إلينا بها؟ ووصية المودع لها شأن ووقع كبير على القلوب لأنها تأتي على جوامع الخير .

قال : ((**أوصيكم بتقوى الله**)) أوصاهم عليه الصلاة والسلام بهذه الوصية العظيمة الجامعة للخير كله ، وهي وصية الله تبارك وتعالى للأولين والآخرين من خلقه كما يدل لذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] ، فهي وصية الله جل وعلا للأولين والآخرين من خلقه ، وهي وصية النبي عليه الصلاة والسلام لأمته . قال ((**أوصيكم بتقوى الله**)) أي: أوصيكم أن تلزموا تقوى الله عز وجل وأن تحافظوا عليها .

وتقوى الله عز وجل: هي أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من عقاب الله وسخطه وقايةً تقيه ؛ وذلك لا يكون إلا بفعل الأوامر وترك النواهي ، ولهذا فإن من أحسن ما قيل في تعريف التقوى وبيان حدها ؛ أن تقوى الله عز وجل: عملٌ بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله ، وتركٌ لمعصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله؛ فهذه حقيقة التقوى ، التقوى عمل بالأوامر وترك للنواهي وأن تكون في ذلك كله على نور ؛ أي على علم ، على علمٍ بالمأمور لتفعله وعلى علمٍ بالمنهي لتجتنبه ، وأن تكون أيضًا جامعا بين الرجاء والخوف ، ترجو رحمة الله عز وجل وتخاف عقابه سبحانه وتعالى ، فهذه حقيقة التقوى التي أمَرنا النبي عليه الصلاة والسلام بلزومها .

قال: ((**أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة**)) أي أوصيكم بالسمع والطاعة ، والمراد بقوله ((أوصيكم بالسمع والطاعة)) أي لمن تأمَّر عليكم ، يدل لذلك قوله بعده ((**وإن كان عبد حبشي**)) ؛ السمع والطاعة أي لمن تأمر عليكم ، وهذا نصح عظيم وأمرٌ مهم للغاية يغفل عنه كثير من الناس ، بل وكثير من الناس لا يدركون أهميته ، وفي بعض الناس نوع من الجاهلية في هذا الباب ويرى أنه أعلى مقاما من أن يسمع ويطيع وأن مكانه أرفع من ذلك فيدخله شيء من الجاهلية .

قال: ((**والسمع والطاعة**)) أي أوصيكم بالسمع والطاعة أي لمن كان أميرا عليكم برًا كان أو فاجرا لماذا ؟ لأن أمور الإسلام وأمور الدين لا تنتظم ولا تستقيم إلا بالجماعة ، ولا جماعة إلا بإمام ، ولا إمام إلا بسمع وطاعة ، ولهذا إذا ترك الناس السمع والطاعة للأمير وللوالي تفرقت الجماعة ، وإذا تفرقت الجماعة ضاع الدين ، ولهذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة في الأمر بالسمع والطاعة ، بل إنه عليه الصلاة والسلام ضم السمع والطاعة للأمير وللولاة إلى أمره بالصلاة والصيام وغير ذلك من الطاعات الكبار ،كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع أنه قال : ((اعبدوا ربكم وصلوا فرضكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة مالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم)) ، فضم عليه الصلاة والسلام طاعة الأمير إلى الصلاة والصيام وغير ذلك من الطاعات ، لأن أمور الناس وأمنهم وعباداتهم وطاعاتهم كل ذلك لا ينتظم ولا يستقيم إلا بالجماعة ، والجماعة لابد فيها من أمير ، والأمير لابد له من سمع وطاعة ، فإذا لم يُسمَع ولم يطَع للأمير انتقضت الجماعة وتفرقت الكلمة ، وإذا تفرقت كلمة الناس وذهبت جماعتهم ضاع دينهم ؛ ولهذا جاءت أحاديث كثيرة ونصوص كثيرة في الكتاب وفي السنة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩] .

والسمع والطاعة التي أمُرنا بها هي في المعروف ، أما إذا أمر الوالي بالمعصية أمر بالإثم أمر بالأمر الحرام لا يطاع ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)). وقوله هنا ((بالسمع والطاعة)) السمع أي لكلامه والطاعة أي لأمره ((بالسمع والطاعة)) أي أن تسمع لما يقول وتهتم بكلامه ، والطاعة أي لأمره وما يأمر به من الأمور التي فيها مصالح الناس ومنافعهم وانضباط أمرهم .

قال: ((**عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي**)) أي ولو فُرض وقدر أن الذي استتب له الأمر وصارت له الولاية عبد حبشي فاسمع وأطع ؛ وهذا فيه التحذير من أمرٍ كان عليه أهل الجاهلية ألا وهو الاستنكاف والاستكبار عن السمع والطاعة للأمير ؛ بأن يقول بعض الناس "أنا أسمع وأطيع!! أنا أعلى من أن أكون كذلك" يستنكف ويستكبر ، فالنبي عليه الصلاة والسلام حذر من هذا الاستنكاف والاستكبار على أي حال من الأحوال ، قال ((وإن تأمر عليكم عبد حبشي)) لماذا ؟ لأن مراعاة جماعة المسلمين وانتظام أمرهم والتئام شملهم وصلاح كلمتهم وبُعدهم عن الفتن وأن تراق بينهم الدماء وأن ينشب بينهم القتال هذا أعظم وأهم ، فيجب أن تراعى المصالح العامة ومقاصد الدين الكلية التي ينتظم بها شمل المسلمين ، لكن إذا دخل في الإنسان نوع جاهلية في هذا الباب لم يرضخ لهذه النصوص ولم يسمع لها ولم ينقد ، بل أصبح بعض الناس إذا قرئت عليه الأحاديث التي فيها الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر يشمئز منها وتنفر نفسه منها ، إذا قُرأت عليه الآيات والأحاديث التي فيها الصلاة والصيام يسمعها ! أليس الذي أمر بالصلاة وأمر بالصيام وأمر بالحج هو الذي أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر! فلماذا تقبِل النفس هنا وتشمئز هناك ؟ والذي جاء عنه هذا الأمر هو نبينا عليه الصلاة والسلام ! بل في الحديث الواحد يأتي هذا وهذا ، يقول عليه الصلاة والسلام : ((اعبدوا ربكم وصلوا فرضكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة مالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم)) الذي أمر بالصلاة وأمر بالزكاة وأمر بالصيام وأمر بهذه الطاعات هو الذي أمر بطاعة ولي الأمر، لما يعلمه عليه الصلاة والسلام من التئام شمل المسلمين وصلاح كلمتهم وبُعدهم عن التفرق والاختلاف والشتات والضياع وإراقة الدماء وغير ذلك من المفاسد والأضرار التي لا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى .

ثم من تأمل التاريخ ونظر في أحوال من خالفوا هدي النبي عليه الصلاة والسلام وافتاتوا على الولاة ونزعوا اليد من الطاعة وخرجوا على السلطان ورفعوا السيف ماذا قدَّموا لأنفسهم وماذا قدموا لأمة الإسلام ؟ وقد لخص أحد أهل العلم ثمار صنائع هؤلاء بقوله : «ما أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا» بمثل هذه الأعمال ما أقاموا دينا ولا أبقوا دنيا ، لأن الدماء تراق والفتن تكثر والكلمة تتفرق والعدو يتسلط ولا يحققون بذلك مصالح ولا أرباح ، فالخير كل الخير فيما دعا إليه نبينا عليه الصلاة والسلام وأرشد أمته إليه ، قال: ((وبالسمع والطاعة)) أي أن تسمعوا للولاة وأن تطيعوا لهم ((وإن كان عبدا حبشيا)) .

قال: ((**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً**)) أي من يُكتب له طول عمر منكم سيرى اختلاف ، وهذا من آيات نبوته عليه الصلاة والسلام أخبر عن أمورٍ أطلعه الله عليها تقع في المستقبل ووقعت طبقا لما أخبر . قال: ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) أي اختلافا في الدين وتفرقا فيه ووقوعا في البدع والأهواء .

وهنا أيها الإخوة الناصح لنفسه عندما يسمع قول النبي عليه الصلاة والسلام ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) سيقع في نفسه ولابد سؤال ألا وهو: إذا كان سيأتي خلاف كثير ما المخرج؟ ما الحل ؟ ماذا نصنع؟

فأرشد عليه الصلاة والسلام إلى المخرج دون أن يُسأل وذا من نصحه عليه الصلاة والسلام ؛ قال: ((**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي**)) هذا هو المخرج ((**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور ، فإن كلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة**)) فلخص عليه الصلاة والسلام المخرج والنجاة من التفرق والاختلاف في أمرين : الأمر الأول: لزوم السنة قال ((فعليكم بسنتي)) أي الزموها وتمسكوا بها ((وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) أي الزموا سنة الخلفاء الراشدين؛ وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين .

((**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**)) ولاحظ هنا نعتهم عليه الصلاة والسلام بهذين الأمرين: بالراشدين والمهديين ، و«الرشاد» ضد الغواية ، و«الهداية» ضد الضلال ؛ وهذا يفيد صلاحهم في العلم والعمل ؛ صلاحهم في العمل هو الرشاد ، وصلاحهم في العلم هو الهداية ، فالمهتدي ضد الضال ومن كان عنده علم نافع يهتدي به ، والراشد ضد الغاوي والغاوي هو المنحرف. فأفاد وصف النبي صلى الله عليه وسلم للخلفاء الراشدين بالرشاد والهداية صلاحهم في العلم والعمل ، وقد قال الله عز وجل في وصف نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم:٢] ، نفي الضلال فيه إثبات الهداية ، ونفي الغواية فيه إثبات الرشاد ؛ أي صلاح العلم والعمل . فنبينا عليه الصلاة والسلام وصف خلفاءه الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلي بأنهم راشدين ومهديين ، أي صالحين في علمهم وعملهم ، وهذا فيه تنبيه إلى أن المؤهَّل للاقتداء والائتساء من كان شأنه كذلك ؛ وهو الصالح في علمه وعمله ، أما من كان عنده علم لا يعمل به فهو مغضوب عليه ، ومن كان عنده عمل ليس مبنيا على علم صحيح فهو ضال ، ولا يكون راشدا مهتديا إلا بالعلم النافع والعمل الصالح .

قال: ((**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**)) وأعيد ثانية حثه عليه الصلاة والسلام على التمسك بسنة الخلفاء مع وصفه لهم بالرشاد والهداية فيه تنبيه إلى مقام من كان كذلك راشدا مهديا ؛ أي صالحا في علمه وعمله وأنه بذلك يكون أهلًا للاقتداء والائتساء.

قال: ((**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها**)) أي الزموها واعتصموا بها وحافظوا عليها ((**وعضوا عليها بالنواجذ**)) النواجذ هي أضراس الإنسان ، وعادة الإنسان إذا كان ثمة أمر يهتم له ويغتبط به ويفرح به قد يعبِّر بذلك بالعض له على نواجذه محافظةً منه عليه واهتماما به . قال ((وعضوا عليها بالنواجذ)) أي كونوا محافظين عليها متمسكين بها محافظة من يهتم بالأمر إلى درجة أن من غبطته عليه وفرحه به يعض عليه بالنواجذ.

قال: ((**إياكم ومحدثات الأمور**)) أي احذروها وابتعدوا عنها وجانبوها ، احذروا محدثات الأمور حتى وإن مال إليها قلبك ورغبت فيها نفسك ، حتى وإن استحليتها ، حتى وإن حثك عليها بعض أشياخك ((إياكم ومحدثات

الأمور)) احذر أي أمر مُحدث والزم ما كان ثابتا عنه عليه الصلاة والسلام فإن فيه الخير والبركة ، حتى وإن مالت نفسك ورغبت نفسك في أمر استحْلته النفس وارتاحت لبه واطمأنت له وسمعتَ حثا عليه من بعض لأشياخ إذا كان من الأمور المحدثة احذر منه ودعه واتركه ، وعليك بسنته عليه الصلاة والسلام . قال: ((وإياكم ومحدثات الأمور)) .

أضرب مثالا فقط للتوضيح ؛ الصحابة ثبت عنهم في الحديث الصحيح أنهم سألوا النبي عليه الصلاة والسلام سؤالا واضحا بينا قالوا فيه: «يا رسول الله عرفنا كيف نسلِّم فكيف نصلي عليك؟» فعلَّمهم قال: ((قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) ونحن نعتقد في أنفسنا اعتقادًا كاملًا أنه عليه الصلاة والسلام ناصح أمين، وأنه ما ترك خيرًا إلا دلنا عليه ولا شرا إلا حذرنا منه ، هذا كلام ناصح ما الواجب علينا نحو هذا الأمر؟ الجواب واضح؛ الواجب علينا أن نتمسك بما علمنا وأرشدنا إليه ودلنا عليه صلوات الله وسلامه عليه ، لكن انظر في حال الناس في هذا الباب وكم اخترع لهم من الصلوات المحدثة!! حتى كُتب مجلدات في صلواتٍ محدثة يجلس مخترعها وينشئ كلامًا "اللهم صل على محمد ما ناحت الحمائم ولُفَّت العمائم وشُدت الكذا" والعوام مساكين يمسك الكتاب ويقرأ ويظن أنه على خير ، "اللهم صل على محمد الفاتح لما أُغلق والخاتم لما سبق" والعوام يقرأون . قال ((عليكم بسنتي)) ، وقال ((وإياكم ومحدثات الأمور)) أي شيء يحدث لكم احذروه ما لكم وله ، ألسنا نعتقد في أنفسنا أنه عليه الصلاة والسلام ناصح لنا ؟ ألسنا نعتقد أنه معلم أمين؟ ألسنا نعتقد قول الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] ، والصحابة يأتونه ويقولون : «يا رسول الله عرفنا كيف نسلم فكيف نصلي عليك؟» قال: ((قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) ، بعض العوام يقول "هذه ما تشفي غليلي ولا تكفيني أنا أحتاج أن أقول: كما شدت العمائم وكما ناحت الحمائم.. أريد الكلام الطويل هذا" هذا من البلاء الذي أصيب به كثير من الناس هجروا السنن وأكبُّوا على المحدثات .

فالواجب علينا يا إخوان أن نتقي الله عز وجل كما أرشدنا قال ((أوصيكم بتقوى الله)) أن نتقي الله وأن نراقب الله عز وجل ، وأن نعبد الله بما شرع لنا ، نحن لا نحتاج إلى مجلد يكتب لنا ويصف فيه كلمات وتجمَّع فيه حروف "اللهم صل على محمد عدد كذا ..." وأشياء من هذا القبيل ، لسنا بحاجة ، كُفينا ، وسعتنا السنة ، من لم تسعه سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا وسَّع الله عليه ، تكفينا السنة والله تكفينا ، يكفينا ما جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام .

ولهذا نحن نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى أن يرزقنا جميعا حسن الاقتداء به وحسن الاتباع له وحسن العمل بما وجهنا إليه وأرشدنا إليه صلى الله عليه وسلم وأن يعيذ قلوبنا من الأهواء وأن يجنبنا البدع ، الأهواء مهما كان تأخذ القلوب خاصة وإذا كان الإنسان مضى على نوع من هذه الأهواء سنين طويلة يصعب عليه أن يتخلص منه إلا إذا رحمه أرحم الراحمين وأعانه رب العالمين ويسَّر له ؛ ولهذا نحن رجاؤنا في الله وأملنا فيه سبحانه وتعالى أن يوفقنا أجمعين للسنة وأن يهدينا إليها ، وأن يوفقنا لاتباعها ، وأن يجنبنا الأهواء كلها ما ظهر منها وما بطن .

قال: ((**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**)) وهنا انتبه «فإن كل محدثة بدعة» أي أيُّ عملٍ أو قول ليس هو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا من هديه فهو محدث ، وكل محدثة بدعة .

قال: ((**وكل بدعة ضلالة**)) فلماذا يوقع الإنسان نفسه في مثل هذه الأمور التي حذر منها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ؟! . فإذًا المخرج بأمرين:

- الأمر الأول: لزوم السنة .
- والأمر الثاني: مجانبة البدعة .

ولا يمكن للإنسان أن يخرج من هذه الفتن إلا بهذين الأمرين : لزوم السنة ومجانبة البدعة ، والتوفيق بيد الله وحده، نسأله جل وعلا أن يوفقنا جميعا لكل خير .

قال ((**وفي رواية له : لقد تركتم على البيضاء**)) انظر جمال هذا الكلام ، ((لقد تركتكم على البيضاء)) أي على الطريقة البينة الواضحة الناصعة التي لا اشتباه فيها ولا التباس ؛ وهذا دليل على كمال نصحه عليه الصلاة والسلام لأمته ((تركتكم على البيضاء)) أي تركتكم على طريق واضح ومحجة بيضاء وسبيل بيّنة نيرة مضيئة .

((تركتكم على البيضاء)) والإنسان إذا ترك على بيضاء هل يتوه؟ هل يضيع؟ إذا ترك على طريق بيضاء واضحة نيرة مضيئة لا يتوه إلا إذا ترك الطريق الواضحة ودخل في الطرق المعوجة وسلك السبل المعوجة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام تركنا على البيضاء؛ أي تركنا على الملة البيضاء والمحجة البينة والسبيل الواضحة .

قال: ((**ليلها كنهارها**)) أي واضحة بينة لا التباس فيها ولا غموض .

قال: ((**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**)) أي لا يزيغ عن هذه الطريق البيضاء بعدي إلا من كُتب له الهلاك ، وفي الدعاء في القرآن الكريم ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران:٨] ، وكان أكثر دعاء نبينا عليه الصلاة والسلام ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) قالت أم سلمة : «كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت له يا رسول الله أوَإن القلوب لتتقلب؟!» قال: ((ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه)) قال هنا : ((ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)) .

ولهذا يا إخوان والله العظيم يجب علينا جميعا أن نقبِل على الله تبارك وتعالى بصدق نسأله أن لا يزيغ قلوبنا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ . والأمر الثاني: أن نحرص على السنة الطريقة الواضحة الهدي البيِّن الذي تركنا عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام . عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سُئل: ما هو الصراط المستقيم؟ قال: «هو طريق تركنا النبي صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه الآخر في الجنة» ليس هناك سبيل للجنة إلا بالطريقة البيضاء التي ترك النبي عليه الصلاة والسلام أمته عليه ، كل طريق إلى الجنة مسدود إلا الطريقة البيضاء الواضحة التي ترك النبي صلى الله عليه وسلم الأمة عليها ، ليست هذه المحدثات هي التي توصل إلى الجنة ، حتى وإن استحسنها الإنسان ، حتى وإن مالت إليها نفسها ليست هذه المحدثات هي التي توصل الإنسان إلى رضا الله والجنة ، الذي يوصل الإنسان إلى رضا الله والجنة هو التمسك بما كان عليه النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله تعالى :

**ولمسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهَدْي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرَّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة)) .**

*********

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث؛ حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**أما بعد**)) ، في الحديث في صحيح مسلم قال جابر رضي الله عنه: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب الناس كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ثم يقول: أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة**» ؛ هذا الكلام كان نبينا عليه الصلاة والسلام يردده في خطبه ، كلما خطب الناس يأتي بهذا الكلام ((أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ،وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة)) ، ولو سألتك الآن : ما هي فائدة هذا التكرار؟ يُكرر على الناس في الجُمع وفي الخطب «أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة» ؛ هذا التكرار من الحكمة فيه: أن الناس يحتاجون إليه حاجة ماسة ، لأن البدع لا تزال تأتيهم من كل جانب والأهواء تأتيهم من كل صوب فيحتاجون دائما أن يُذكَّروا بهذا الأمر ((أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها)) ؛ فإذا رسخ هذا الأمر في قلبك وتمكن من نفسك لم تقبل من الناس كل ما يقولونه ولم تقبل من كل داع ما يدعو إليه حتى تتأكد منه أن هذا من القرآن ومن السنة . أما إذا كان من الأهواء ومن المحدثات لا تقبله بل نفسك تنفر منه ، وهذا من الحكمة في تكرار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر في خطبه ؛ حتى يستقر في النفوس هذه الحقيقة العظيمة «أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد عليه

الصلاة والسلام » ، إذا رسخ في قلبك أن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ثم أرادك شخص على عملٍ من الأعمال لا دليل عليه من الكتاب والسنة بل يبنيه على تجربة أو يبنيه على عقل مجرد أو يبنيه على قصص وحكايات هل تقبله؟ لا والله ، لأنك استقر في نفسك أن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، المحدثات شر على الناس ، ولو لم يأت فيها شر إلا أنها تصرف الناس عن السنن كفى بذلك شرا .

قال: ((**وشرَّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة**)) وقوله عليه الصلاة والسلام هنا «وكل بدعة ضلالة» عام شامل لكل أمر محدث في دين الله ، فليس في الأمور المحدثة في الدين شيء حسن ، بل قال مالك رحمه الله تعالى : «من قال في الدين بدعة حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] فما لم يكن دينا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلن يكون اليوم دينا» .

ولتوضيح هذا المثال لو جاءك رجل وحثك على شيء من هذه الأمور المحدثة ورغبك فيه ؛ اسأله قل له : هل هذا الأمر الذي تدعوني إليه موجود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو لا ؟ فإن قال نعم هو موجود في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ماذا تقول له ؟ تقول له أعطني الدليل ، هات دليل من القرآن هات دليل من السنن، كتب السنة موجودة ومحفوظة أعطني الدليل أنه كان موجودا في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ، وإن قال لك: لا ليس موجودا في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ولكنه أمر جميل وأمر عظيم وجربناه وشيوخنا جربوه وهو أمر عظيم جدا وأعطاك من هذا الكلام ماذا تقول له؟ قل له كما قال مالك «ما لم يكن دينا زمن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلن يكون اليوم دينا ولن يكون دينا إلى أن تقوم الساعة» ، أيوجد شيء من الدين الصحيح لم يكن موجودا في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ؟ من قال نعم فمعنى ذلك أن جوانب من الدين تركها النبي عليه الصلاة والسلام لم يبينها حتى جاء أقوام فيما بعد أحدثوها وأوجدوها ، وهذا يدلنا على خطورة هذا الأمر .

قال رحمه الله تعالى :

**وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) قيل : ومن يأبى ؟ قال : ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) .**

*******

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث قال : وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)) جميع أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى منهم أن يدخل ، هذا

الكلام عندما يسمعه الإنسان لأول وهلة يستغرب! من الذي يأبى؟ من الذي يُعرض عليه دخول الجنة ويقول لا أنا لا أريد دخول الجنة بل أرغب في دخول النار؟ يوجد أحد بهذه الصفة ؟ قال ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) .

وقبل الدخول في هذا الحديث اريد أن أنبه على فائدة فيه تتعلق بالحديث الذي قبله : قوله في الحديث الذي قبله ((كل بدعة ضلالة)) هذا عام ليس هناك ما يخص شيئا من أطرافه ، والنبي صلى الله عليه وسلم في العمومات التي لها خصوصيات أو لها ما يخصها يبين ؛ وهذا من نصحه ، ولهذا هنا قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة)) أتى بهذا العموم ولما كان لهذا العموم استثناءات قال : ((إلا من أبى)) ، هناك قال : ((كل بدعة ضلالة)) ولم يقل إلا بدعة مثلا مفيدة في كذا أو بدعة استحسنها كذا، قال ((كل بدعة ضلالة)) بدون استثناء ؛ فيبقى على عمومه جميع البدع وكل أمر محدث في الدين فهو ضلالة وكل ضلالة في النار .

قال : ((**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)) أي إلا من أبى الدخول .

قال الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم : ((**ومن يأبى يا رسول الله ؟**)) من يأبى على نفسه الدخول ؟

قال: ((**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**)) أي أبى على نفسه الدخول؛ وهذا فيه التحريض على لزوم سنة النبي عليه الصلاة والسلام وطاعته والمحافظة على هديه وسنته واتباع ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه .

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.